إسهـامـــات العمـال الجـزائــريين في أوربـــا إبـــان الثـــورة الجـــزائـــريـــة
الودادية العامة للعمال الجزائريين بفرنسا نموذجا **1962/1956**

د.أحمد مسعود سيد علي
جامعة المسيلة - الجزائر

تمهيـد:

1- لمحة عن إسهامات العمال الجزائريين بأوربا:

ظل عدد العمال الجزائريين في أوربا يشهد ارتفاعا هائلا تزامنا مع تزايد حدة القمع الاستعماري الذي شهده المجتمع الجزائري خلال فترة الثورة التحريرية،ففي ألمانيا وحدها وصل عدد العمال مابين سنوات1959/1956،حوالي 2000الفين عامل،الأمر الذي جعل من قيادة الاتحاد العام للعمال الجزائريين تسعى إلى تأطير هم والتكفل بهم بما يخدم القضية الجزائرية،عبر تعزيز موقع الاتحاد هناك ،وبحلول شهر اكتوبر1958،تمكنت قيادة الاتحاد العام للعمال الجزائريين من خلال ممثليها بألمانيا السيد الصافي بوديسة[1]، من تنظيم لقاء مع ممثلين قياديين في النقابة الجزائرية الألمانية انتهى بتقديم وعد للاتحاد العام للعمال الجزائريين بدعم القضية الجزائرية، واعتراف نقابة المعادن الألمانية بالاتحاد العام[2]

كما تم إصدار طابعا بريديا كدلالة رمزية على تضامن الشعب الألماني مع القضية الجزائرية،وبحلول شهر جانفي تحصل الاتحاد العام للعمال الجزائريين في ألمانيا على أول مساهمة مالية من الألمان بلغت قيمتها حينها 800.000مارك ألماني وجهت عبر فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا نحو الجزائر لدعم الثورة[3].

كما ساهم الاتحاد العام للعمال الجزائريين في تخفيف العبء على رفاقهم الفارين من البوليس الفرنسي الذي كان يلاحقهم معية البوليس الألماني في إطار التنسيق الأمني ويعاد ترحيلهم إلى فرنسا ليزج بهم في السجن ،وذلك بعد أن وطد الاتحاد العام علاقته مع الحركة النقابية الألمانية التي أشادت بضرورة دعم العمال الجزائريين في ألمانيا وعبرت عن تضامنها معهم في مؤتمرها الخامس من ذات السنة السابقة الذكر[4].

منح الاتحاد النقابي الألماني مقرا خاصا لأعضاء الاتحاد العام.للعمال الجزائريين، من اجل عقد اجتماعاته مرتين في الأسبوع ،استغله الاتحاد للتقرب من مختلف فعاليات لمجتمع المدني في ألمانيا خاصة بعض أعضاء الكنيسة للتعريف بالقضية الجزائرية وتبيان جرائم الاستعمار الفرنسي[5]

أما في المجال النقابي فقد استغل الجزائريون هذا الجو الملائم من اجل التعريف بالقضية الجزائرية وكذا استغلال إمكانيات النقابات الألمانية لتكوين العمال الجزائريين إذ تشير الإحصائيات أن النقابيين الجزائريين كانوا موزعين بصورة متفاوتة في المدن الألمانية في شكل أفواج يضم كل فوج بين 20 و150 عضو، ومن أهم المدن نذكر كولن، ميونيخ، هامبورغ، فرانكفورت، بون، ميلها ين، شتوتغارت، دورتم وند، وغيرها.حيث كانت نسبة العمال الجزائريين في المصانع حوالي 30%، الإدارات والمؤسسات 60% أعمال خاصة مثل المقاهي، محلات، مطاعم 10%.

كما كانت تنظم دورات تكوينية وتعليمية لفائدة العمال الجزائريين وأبنائهم،أين يجتمع العمال في شكل فوج مكون من 20فرد يتم اختيارهم من طرف قيادة الاتحاد العام للعمال الجزائريين ،تضاف لتلك الدورات التكوينية النقابية التي كانت تنظم في كل من تونس والمغرب وبعض دول أوربا الشرقية كيوغوسلافيا بروماليا.[6]

إضافة إلى هذا كانت تنظم الاجتماعات لممثلي الاتحاد العام للعمال الجزائريين من اجل النظر في بعض المسائل التضامنية كجمع المال أو التنظيمية كالتواجد الفعلي في النقابة والحملات التحسيسية،أو لاتخاذ بعض القرارات الهامة كالاجتماع الذي تم بمنزل بلوشراني عمر بمدينة كولون ،ضم ممثلي الاتحاد لأجل دراسة واتخاذ موقف من المنظمة العسكرية السرية وكذا من الحزب الشيوعي اللذان كانا يسعيان كل في جهته للتشويش على الثورة والمفاوضات وكذا على الاتحاد العام للعمال الجزائريين.[7]

ولم يقتصر العمل على ألمانيا فقط بل كانت تحركات أعضاء الاتحاد في كل الاتجاهات خاصة البلاد الأوروبية، في زيادة على نشاط الاتحاد العام للعمال الجزائريين ضمن الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة، حيث قام ممثلو الاتحاد بعقد عدة لقاءات مع رفاقهم النقابيين من الدول الأوربية للضغط على حكومتهم للاعتراف بعدالة القضية الجزائرية[8].

تحركات سرعان ما آتت ثمارها ففي سنة1959،تم استقبال ممثلين عن الاتحاد العام للعمال الجزائريين في ايطاليا من طرف ممثلين عن النقابات الايطالية لقاءا توج بتبادل للزيارات قام به ممثلو النقابات الايطالية للمقر العام لمكتب الاتحاد العام للعمال الجزائريين بتونس بين 13/07/مارس1960،

حيث قاموا بالاطلاع على أحوال اللاجئين الجزائريين بتونس ومعطوبي الحرب جراء سياسة القمع الاستعماري،كما قام الوفد بزيارة مركز التكوين عيسات أيدير[9].

من جهة أخرى قام الأمين العام للاتحاد السيد الجيلالي امبارك في 1959/02/19،بزيارة لتشكوسلوفاكيا حيث استقبل من طرف المجلس المركزي للنقابات التشيكية تحصل خلالها على مساعدة مادية بقيمة2050.000كورنة،وفي ماي من نفس السنة تلقى الاتحاد على مبلغ قدر ب:50.000دولار من بلغاريا لمساعدة اللاجئين في كل من تونس والمغرب،وفي شهر جوان أيضا من ذات السنة تلقى الاتحاد من رئيس التنظيمات النقابية الأمريكية مبلغا قدر ب:25000دولار.[10]

2- الوداديـة العامة للعمال الجزائريين بفرنسا A.G.T.A:

-النشأة والتأسيس:

يعزى إنشاء الوداديـة العامة للعمال الجزائريين إلى فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا في فيفري 1957، بغية لم شمل العمال الجزائريين والدفاع عن حقوقهم بما تسمح به القوانين الفرنسية[11]،ولاتخاذها كمطية لتعريف الرأي العام الفرنسي بجرائم جيشه الاستعماري في الجزائر.وفي هذا الصدد تشكل أول مكتب للوداديـة برئاسة السيد الصافي بوديسة ونهار رابح كأمين للمال ووارشي السعيد مكلف بالدعاية وبن علي عبدالله وابن مولود[12].

-أهداف التأسيس :

لقد حددت جريدة العامل الجزائري لسان حال الوداديـة في مقلا صدر سنة1958،بعنوان * لنوضح موقفنا* إن الإطار الذي تدخل فيه مهمتنا هو كفاح الشعب الجزائري من اجل تحريره،وهو نفس الموقف الذي عبرت عنه في جريدة المجاهد إن الأمر يتعلق بإعادة استرجاع السيادة الوطنية ،

كما أبرزت الوداديـة في إحدى نشرياتها الداخلية الهدف من تأسيسها وهو المساهمة بكل يقظة وعناية في تأطير كل حي والتطوير الفعلي لكل عمل من شأنه ان يضمن التعليم والتكوين لشريحة كبرى من الشباب،وهذا من اجل هدف آني ألا وه تحسين الظروف المعاشية أما في الأفق فهو التحضير المكثف للرجال والنساء والإطارات في مختلف المستويات بغرض تدعيم الثورة الجزائرية.[13]

ومنه فان الهدف الاسمي للوداديـة هو تكثيف العمل على كل الأصعدة بين مختلف الفئات الجزائرية في فرنسا وأوربا لتعبئتها ضمن القضية الوطنية ودعم الثورة التحريرية.

3- التحديات التي واجهت نشاط الوداديـة:

شكل التحدي الوحيد الذي واجهته الوداديـة بفرنسا هو الجناح المصالي للحركة العمالية ،هذه الأخيرة بعد خسرت معركتها لاستيعاب فئة العمال بالجزائر راحت تركز على الساحة الفرنسية بحكم تواجدها من قبل اندلاع الثورة فضلا عن الدعم الذي كان يتلقاه التنظيم العمالي للحركة المصالية الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين من طرف حكومة غي مولي الاشتراكية

وعليه فإن ميادين العمل النقابي كانت ساحة للصراع بين التيار المصالي ومناضلي جبهة التحرير الوطني انتهى في الكثير من الأحيان إلى حرب قذرة بين رفقاء السلاح[14].

كما طالت الاغتيالات كل العمال الذين كانوا يدفعون اشتراكاتهم إلى جبهة التحرير الوطني الأمر الذي دفع بالكثيرين إلى دفع اشتراكات لكلا الطرفين المتصارعين ،ومما ضاعف من حدة مأساة هاته الشريحة هو البوليس الفرنسي الذي ظل يطارد في العناصر المنضوية تحت راية الوداديـة على اعتبار انها كانت جناح تابع للاتحاد العام للعمال الجزائريين وبالتالي لجبهة التحرير الوطني .[15]

4- نشاط الوداديـة العامة للعمال الجزائريين:

على الرغم من المطاردات الشرسة التي كانت تطال صفوف عناصر الوداديـة في مكان عملهم ومقر سكناهم والمقاهي التي كانوا يرتادونها ،فإن ساسة القمع هذه لم تزد إلا في إصرار هذه الشريحة للمضي قدما لنصرة الثورة ،عبر الأموال التي كانوا يجمعونها لصالح الفيدرالية فهي كانت الشريان الرئيس للدعم المالي الذي كانت تحتاجه الثورة ،وبالرغم من ان أساليب التأطير والتعبئة التي كان ينتجها عناصر الفيدرالية وكوادر الوداديـة كانت تكتسي طابعا لم يكن يخلوا من العنف والترهيب في صفوف العمال الجزائريين حرصا على تحقيق الاستمرارية في دفع الاشتراكات لدعم الثورة،على الرغم من ذلك فإن هذه الأساليب آتت اكلها في الكثير من الأحيان وجعلت من شريحة العمال هذه تعبأ قهرا أو باقتناع لدعم الكفاح المسلح،أساليب وان أثبتت فاعليتها حينها الا أنها قد تبدو للملاحظ اليوم مشينة لكن حينما تدرس في سياقها التاريخي حين وقعت تبدوا على الأقل السبيل الأوحد لتخطي التحدي الذي كانت تواجهه الثورة حينها في مواجهة استعمار.

لقد كان مناضلو الفيدرالية يتقصون فئة المهاجرين ويرصدون خطواتهم الأولى بعيد النزول من ميناء مار سليا صوب محطات القطار ثم يتقصون أصولهم ويبعثون إليهم الأقرب إلى منطقتهم الأصلية ليقدم لهم يد العون متمثلة في المأوى واجر رمزي

إلى حين إن يوجد له منصب عمل ،وحينها يطلب منه دفع اشتراكاته بانتظام ،وفي حال رفضه يواجه بالتصفية الجسدية كما حصل للكثيرين.[16]

ومهم يكن من أمر فإن للعمال الجزائريون دور كبير وأساسي ومهم حيث كانوا يشكلون محور اهتمام مختلف التشكيلات قبل الثورة وأثناءها، وهم من العوامل الأساسية التي أدت إلى تأسيس الفدرالية، هذه الأخيرة التي ساهمت في ربط الجزائريين بالمهجر بوطنهم الأم خلال الثورة، فلقد عايش العمال الجزائريون في المهجر نوفمبر1954 بكل جوارحهم واحتضنوها منذ انطلاقه الرصاصة الأولى، فدعموها بشريا وماليا عبر الاشتراكات والتبرعات السخية لدعمهم المجهود الحربي، ولم يبخلوا على ثورتهم وكانوا متفاعلين معها.

يقول احد الكتاب " إن العمال الجزائريين في المهجر وفرنسا بالخصوص كانوا يساهمون شهريا بـ 500 مليون فرنك فرنسي قديم (أي نصف مليار سنتيم) وهي قيمة اشتراكاتهم الشهرية التي كانوا يدفعونها بانتظام لاتحادية جبهة التحرير بفرنسا" [17]، وكان هدف الفدرالية بصفة خاصة جمع الأموال التي كانت تأتي بنسبة كبيرة من خلال العمال[18] كما أن المهاجرون في فرنسا وبلجيكا وسويسرا وألمانيا كانوا يخصصون يوما من أجورهم تبرعا لثورة التحرير.

كما كانت تحصل الفدرالية على زكاة الفطر لدعم الثورة وكان أصحاب المحلات يدفعون شهريا ما بين(10.000 إلى 15.000 فرنك فرنسي قديم) وقد استطاعت جبهة التحرير بعد انتصارها على المصاليين أن تتحكم في مصير 13.645 من مجموع 250.000 جزائري، وهو عدد كامل العمال الجزائريين في فرنسا وبلجيكا ومنطقة " السار" فخلال سبعة أشهر من عام 1958 حول العمال الجزائريين في المهجر عن طريق " حملة الحقائب" 238.38185 مليون فرنك فرنسي قديم إلى الحكومة المؤقتة في القاهرة التي شكلت في سبتمبر 1958[19].

جدول يمثل كشف عن المبالغ الإجمالية التي يدفعها العمال الجزائريون في المهجر للمساهمة في الثورة والمصاريف عام 1958.

الشهر	المداخيل	المصاريف
جوان	34.551.993	39.353.199
جويلية	580.301.173	42.673.288
أوت	330.719.297	42.625.078
سبتمبر	338.357.845	38.828.467
أكتوبر	361.557.751	19.886.895
نوفمبر	504.232.435	26.699.655
ديسمبر	315.196.741	28.699.655[20]

وفي عام 1959 حولت الفدرالية اشتراكات العمال الجزائريون في المهجر، إلى الحكومة المؤقتة بواسطة شخصيات متعاطفة مع الثورة الجزائرية[21] مبالغ مالية معتبرة وهذا ما يؤكده الجدول التالي :

الشهر	المداخيل	المصاريف
جانفي	358.770.160	62.010.887
فيفري	322.870.194	39.722.625
مارس	327.608.305	39.722.625
افريل	332.495.633	51.130.685
ماي	403.829.984	58.270.418
جوان	370.872.655	52.179.013
جويلية	506.161.902	35.425.709
أوت	413.542.615	47.635.792
سبتمبر	422.182.160	68.539.193
أكتوبر	468.491.985	57.935.190
نوفمبر	677.515.606	60.468.844
ديسمبر	466.850.720	68.650.788[22]

يوجد نوعين من المشتركين حيث حوالي150ألف مشترك يدفعون اشتراكاتهم للفدرالية مقابل 10ألاف مشترك ظلوا يدفعون اشتراكاتهم لـ (ح.و.ج) وكانت الفدرالية تصرف 10% من اشتراكات العمال الجزائريين في فرنسا مصاريف نقل للأموال من خلال " حملة الحقائب"، كما أن اشتراكات العمال الداعمة للثورة تزيد في المناسبات خاصة في الأيام الوطنية التاريخية[23] و في سنة 1960 كانت تبرعاتهم الشهرية كالتالي:

الشهر	المداخيل	المصاريف
جانفي	440.739.356	63.886.950
فيفري	452.852.755	76.742.277
مارس	452.490.945	74.092.765
افريل	478.825.475	110.596.324
ماي	460.208.880	70.001.565
جوان	450.125.570	85.406.020
جويلية	585.138.930	45.025.670
أوت	510.216.275	99.449.105
سبتمبر	487.837325	83.615.687
اكتوبر	480.779.800	113.924.747
نوفمبر	684.580.420	84.525.970
ديسمبر	475.405.590	87.861.710 [24]

ومن خلال تحليل هذه الإحصاءات ؛ نستنتج أن العمال الجزائريون في فرنسا ساهموا في تمويل الثورة من خلال الفدرالية بما لا يقل عن16 مليار فرنك قديم خلال أربع سنوات (1958-1961)، كما توجد مساهمة حيوية أخرى للعمال من خلال تصدي العمال الجزائريين المنضوون تحت فدرالية جبهة التحرير بفرنسا لأنصار(ح.و.ج) الذين رفضوا العمل تحت لواء (ج.ت.و) 5[2]، وقد كانت فرنسا بمثابة الدرع الحامي للمصاليين وأنصارهم، فالفدرالية جندت العمال الجزائريين للانضمام لـ(ج.ت.و) أو الاختفاء عن الساحة السياسية وذلك من خلال العمل الفدائي، المظاهرات السياسية وبالتالي القضاء على (ح.و.ج) ؛والعمل على بسط شرعية التمثيل لجبهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري في سبيل استرجاع السيادة الوطنية.

الخـاتمة:

لقد شكلت جهود شريحة العمال الجزائريين في اوربا تحت راية جبهة التحرير الوطني نبع لم ينبض، ظلت الثورة التحريرية تنهل منه لتعزز مسار الكفاح المسلح سواء بالداخل عبر التبرعات التي كانت فيدالرية جبهة التحرير الوطني بفرنسا تجمعها وترسل بها الى الداخل عبر اليات وطرق لم تتمكن الدوائر الاستعمارية الفرنسية بالجزائر او الحكومة الفرنسية في العاصمة الام من اكتشافها ،وهي اي هاته التبرعات الموجهة للداخل ساهمت دون شك في اعطاء نفس جديد وفتح افاقا واعدة وخصبة للكفاح

المسلح الذي كان يعاني الامرين خلال ذات الفترة المدروسة سواء العزلة مع قيادة الثورة بالخارج او الحصار المطبق الذي فرضته السياسة الاستعمارية الفرنسية خاصة على عهد الجنرال شال،جهود ساهمت ايضا في التكفل بفئة العمال ذاتها التي كانت تعيش حالة من التيه والاستلاب الحضاري بحكم البعد عن الوطن الام القابع تحت نير الاستعمار،تكفل بدت معالمه بانزواء هاته الفئة في المنظمات الجماهيرية التي استحدثتها فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا ،مثل الودادية العامة للعمال الجزائريين بفرنسا،والابتعاد عن التنظيمات اليسارية الفرنسية او المصالية،الامر الذي شكل للثورة مصدر هام لتمويل العمل الثوري واعطائه ديناميكية وفاعلية ساهمتا في احداث نقلة نوعية للكفاح المسلح الذي خاضته الثورة الجزائرية خاصة بفرنسا بعد نقلت العمليات العسكرية في التراب الفرنسي بدءا من سنة 1958،فاعلية انتهت الى احداث حالة من الانسداد عاشتها الجمهورية الخامسة بفرنسا في تعاملها وتعاطيها مع القضية الجزائرية حينما هددت مصالحها في عقر دارها وبدا ان المجتمع الفرنسي ذاته والرأي العام انقسم حول المسألة الجزائرية،ناهيك عن الوضع الذي آلت اليه الثورة بالداخل،بعد الامحاولة الانقلابية الفاشلة التي قادها قادة جيش الاحتلال في أفريل1961، وظهور بوادر حركة تمرد ليس فحسب لتوقيف مسار المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني ،بل لنسف اركان الجمهورية الفرنسية ذاته والتأسيس لنظام شمولي اسبدادي.

-قائمة باهم المصادر و المراجع التي اعتمدتها الدراسة:

-اولا الوثائق:

- المركز الوطني للأرشيف:رصيد للحكومة المؤقتة، وزارة الخارجية.

– المركز الوطني للارشيف:وثائق المجلس الوطني للثورة الجزائرية 1959/12/16الى 1960/01/18،تقرير وزارة الداخلية مداخلة لخضر بن طوبال علبة مصورة رقم:017 C

– لمركز الوطني للارشيف:وثائق المجلس الوطني للثورة الجزائرية1959/12/16الى 1960/01/18،تقرير وزارة الداخلية مداخلة لخضر بن طوبال علبة مصورة رقم:039 C.

– وثائق الارشيفا الدبلوماسي الفرنسي.

-ثانيا الشهادات:

– شهادة الجيلالي امبارك: محمد عباس رواد الوطنية.

– عمر بوداود: من حزب الشعب الى جبهة التحرير الوطني،مذكرات مناضل،ت:احمد بن بكلي،دار القصبة الجزائر:20007،

Ali Haroun:La 7em wilaya-

[1] محمد عباس:رواد الوطنية،ط:دار هومة الجزائر2009/ص:458

[2] B.BOUROUIBA:OPCIT.P:396

[3] المركز الوطني للأرشيف:رصيد للحكومة المؤقتة، وزارة الخارجية علبة مصورة رقم: C02

[4] شهادة الجيلالي امبارك في :محمد عباس رواد الوطنية،مرجع سابق ص:456

[5] وثائق الارشيفا الدبلوماسي الفرنسي،وثيقة مؤرخة في 29 فيفري 1960

[6] ارشيف الدبلوماسية الفرنسية ،وثيقة رقم 196/02/29/354

[7] نفسه

[8] نفسه

[9] A/D10370 ارشيف الدبلوماسية الفرنسية ،وثيقة رقم

[10] المركز الوطني للارشيف:وثائق المجلس الوطني للثورة الجزائرية 1959/12/16الى 1960/01/18،تقرير وزارة الداخلية مداخلة لخضر بن طوبال علبة مصورة رقم:017 C

[11] يعتبر قانون انشاء الجمعيات بفرنسا المؤرخ في 01جويليه1901، الغطاء الرسمي لظهور الودادية كتنظيم نقابي يحمي حقوق العمال الجزائريين ويضمن لهم حق الدفاع عن حقوقهم المعنية .

[12] عمر بوداود: من حزب الشعب الى جبهة التحرير الوطني،مذكرات مناضل،ت:احمد بن بكلي،دار القصبة الجزائر:20007،ص:115

[13] B.BOUROUIBA:OPCIT.P:382

[14] Le mouvment syndical Algerien a léprouve de lindépendance:p;38

[15] Benjamin stora:il Vient d'algerie limmigration Algerienne en france1912-1962-ed:fayard:paris1992:p140

[16] شهادة السيد عبد القادر المقرواي من المسيلة عضو سابق في فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا في افريل 2014 ،يروي هذا الأخير ببرودة دم عدد العمال الذي قام بتصفيتهم ليس فحسب من المصالين بل من غيرالمنحازين لاي تيار

[17] سعدي بن زيان : دور الطبقة العاملة ...، المرجع السابق، ص 63.

[18] عاشور شرفي: قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962م)، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص448.

[19] المركز الوطني للارشيف:وثائق المجلس الوطني للثورة الجزائرية 1959/12/16الى 1960/01/18،تقرير وزارة الداخلية مداخلة لخضر بن طوبال علبة مصورة رقم:017 C

[20] Ali Haroun : op cit ، p 489.

[21] المركز الوطني للارشيف:وثائق المجلس الوطني للثورة الجزائرية 1959/12/16الى 1960/01/18،تقرير وزارة الداخلية مداخلة لخضر بن طوبال علبة مصورة رقم:039 C.

[22] Ali Haroun : op cit ، p490.

[23] المركز الوطني للارشيف:وثائق المجلس الوطني للثورة الجزائرية 1959/12/16الى 1960/01/18،تقرير وزارة الداخلية مداخلة لخضر بن طوبال علبة مصورة رقم:039 C

[24] Ali Haroun : op cit ، p490.